

تراجم وسير

# الشيخ محمد باي بلعالم حياته ومؤلفاته.



# تراجم وسير الشيخ محمد باي بلعالم حياته ومؤلفاته.

أ/ عبد الله حامد لمين  
تلميذ المرحوم الشيخ محمد باي بلعالم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الحق جل وعلا في كتابه المبين وهو أصدق القائلين : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ  
صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ سورة فصلت : الآية 33  
السادة الدكاترة والأساتذة والشيوخ :

السادة الحضور السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فاسمحوا لي أن أقدم تشكراتي الخالصة، ودعواتي المخلصة لمن فكروا في اختيار هذه الندوة اعترافا  
منهم بالفضل لأهله والتكريم لمستحقه وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على حصافة عقولهم ونضجها لأن  
الأمة الواعية والأمة الراقية هي التي تخذل مآثر عظمائها، وتحيي ذكريات علمائها وتدرس سيرة عظمائها  
اعترافا بفضلهم، وتشحذا للهمم نحو الاقتداء بهم والسير على دربهم. ونحن وإن كنا عاجزين عن واجب  
التعبير عن الشكر لهم فإن العجز عن الإدراك إدراك.

من هو الشيخ باي بلعالم :

إنه داعية من دعاة الإسلام، وطود شامخ في العلم، بحر عميق في العلم والجود والكرم – محب للعلم  
والعلماء- كرس حياته النورانية في طلب العلم وتعليمه، فهو أستاذ الطلبة ومربيهم، والحريص على

تعليمهم وارشادهم، والمتفاني في توجيههم إلى ما فيه سعادتهم. إنه أحد الشيوخ الأفاضل الذين حملوا راية تبليغ العلم فكان بحق نورا لامعا، وكوكبا وهاجا ساطعا، وغيثا وابلا أفنى شبابه في طلب العلم وتلقيه من أفواه الرجال وتبليغه للطلاب على اختلاف مستوياتهم، وتباين أفكارهم وأفهامهم. فلقد تعلم ونصح ووجه وعلم وثقف وأرشد، أنقذ الله بعلمه أمما من الظلالة رائدة في ذلك قول الحبيب المصطفى والنبى المجتبى: " بلّغوا عني ولو آية".

إن أستاذنا وإن مات وغاب عنا بجسمه، فهو حيّ بين ظهرانينا وفي قلوبنا بعلمه، حي بما خلفه لنا من مؤلفاته : قال الشاعر الحكيم :

أخو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم  
وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرى يعد من الأحياء وهو عديم  
ويقول آخر :

يموت قوم فيحي العلم ذكرهم \* والجهل يلحق أحياء بأموات

هو العالم ابن العلماء والفقهاء، الشيخ محمد باي بلعالم بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلي الجزائري ويعود نسبه إلى قبيلة فلان، والشهير أن أصولها تعود إلى قبيلة حمير، القبيلة العربية الشهيرة باليمن فلقد خصص لقبيلته كتابا سماه "قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر". ولد الشيخ سنة 1930 م في قرية ساهل من بلدية اقبلي بدائرة أولف ولاية أدرار دولة الجزائر.

دراسته وتعليمه :

تربى الشيخ في أسرة اشتهرت بالعلم والمعرفة ، حرصت على تعليمه فبدأ بالقرآن الكريم في مسقط رأسه في مدينة ساهل ، هذه القرية التي كانت تعد منارة للعلم والمعرفة، والتي تخرّج منها العديد من العلماء والفقهاء. فدرس القرآن الكريم على يد المقرئ الحافظ الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن المكي بن العالم ، ودرس على يد والده مبادئ النحو والفقهاء ، فكون ثروة ورصيда هاما من العلوم والمعرفة، ودرس على الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي، المتوفي في مدة من الزمن. ثم انتقل إلى زاوية العلامة الكبير والأستاذ

الشهير والقُدوة المنير الشيخ السيد مولانا أحمد الظاهري الحسني ، رحمه الله وأكرم مثواه سنة 1366 هـ .فمكث بالزاوية سبع سنوات، تحصل خلالها على علم الفقه بنصوصه المتداولة، ثم الفرائض والتفسير والنحو والأصول وغيرها من العلوم الدينية واللسانية، وعند نهاية دراسته منحه الشيخ الطاهر إجازة عامة في تدريس العلوم المحصل عليها، عند ذلك فتح مدرسة لتعليم العلوم، وإرشاد الأمة. ظل يواصل العمل إلى أن طلعت شمس الاستقلال، وبعد أن أصبح موظفا في سلك القطاع الديني فتح المدرسة الداخلية لاستقبال الطلاب والطالبات. هاته الزاوية التي أطلق عليها اسم صحابي كريم كان يسمى في المدينة المنورة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الفاتح إنه مصعب بن عمير ، فواصلت زاوية مصعب بن عمير حالتها التعليمية والتوجيهية طيلة حياة الشيخ وتركها بعد وفاته صدقة جارية يجري عليه ثوابها إلى يوم القيامة إن شاء الله.

لقد عاش رحمه الله، للعلم وللتوجيه والإرشاد، وفتح مدرسته وعقد في أصقاع متعددة مجالسه وعلم الناس ما ينيف على الستين سنة في التدريس، والوعظ والإرشاد، درس الفقه المالكي والحديث النبوي والتفسير القرآني، والفرائض والنحو والسيرة وغيرها من العلوم الإسلامية. وكان يختم صحيح البخاري ومسلم، وموطأ الإمام مالك كل سنة سردا وشرحا، والبخاري ختمه ما ينيف على ستين مرة وصحيح مسلم 15 مرة، وموطأ الإمام مالك 44 مرة، وفسر القرآن مرة وكان إماما خطيبا وأستاذا محاضرا.

قلت : كان الشيخ رحمه الله ، عالما ناصحا وشيخا مرشدا داعيا، وواعظا بليغا مجاهدا قضى سواده على بياضه في الدعوة إلى الله، توجيهها وإرشادها. استهون في هذا السبيل كل المتاعب، وتجشم كل المصاعب ليعلي كلمة الحق ويصدع بها لتكون كلمة الله هي العليا. واصل عمله الدعوي بكل جدية ونشاط لم يثن عزمته الشامخة كبر السن وضعف البدن ولم يمنعه من مواصلة مهمته، حر ولا قر ولا هرم ولا مرض ولا تعب ، تصدى لمحاربة البدع والخرافات، ودعى إلى الوسطية ونبذ الإفراط والتفريط وكان يحذر من التطرف والتخرف.

هذا ولم تقتصر مجهودات الشيخ المظفّرة، على الدراسة والتدريس فحسب، بل اتجه إلى التأليف. فألف في مذهب إمام دار الهجرة مؤلفات قيّمة يسر بها الوصول إلى معرفة المذهب بأسلوب واضح وبسيط، وقد قام بتدريس أمهات كتب المذهب المالكي لطلاب العلم ما ينيف على ستين سنة، بلغت في الفقه المالكي أربعة عشرة مؤلفا بغض النظر عن المؤلفات الأخرى ، حيث ألف ما ينيف على أربعين مؤلفا في فنون مختلفة وله محاضرات متعددة الموضوعات.

فمن مؤلفات الشيخ ما يشتمل على جزء، ومنها ما يشتمل على جزأين ومنها ما فيه أربعة أجزاء، ومنها ما يشتمل على عشرة أجزاء، وكان مسك الختام شرحا يشتمل على ثلاثة أجزاء لازال تحت وطأة القلم كل هذا منه ، رحمه الله ، خدمة للفقهاء المالكي، والمذهب المالكي الذي هو مذهب المغرب العربي كله وكثير من الدول الإفريقية. هذا بغض النظر عن مؤلفاته في علم الفرائض التي كانت أول باكورة له، فيه الأرجوزة التي سماها "الدرة السنية في علم مآثره البرية".

وهذه دراسة موجزة عن مؤلفات الشيخ نسلط بها الأضواء عن موضوعات مؤلفاته، أقول معتمدا على من له الحول والقوة :

### 01 – علوم القرآن :

ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم.

المفتاح النوراني على المدخل الرباني.

### 02 – مصطلح الحديث :

كشف الدثار على تحفة الآثار.

### 03 – الفقه :

- فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك.

- الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية.

- السبائك الإبريزية على الجواهر الكنزية.

- فتح الجواد على نظم العزية لابن باد.

- الإشراف البدري شرح الكوكب الزهر.

- مسير الحصرى على سفينة الأصول في علم الأصول.

### النحو :

- اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة بن أجروم.

- كفاية المنهور شرح اللؤلؤ المنظوم.

- الرحيق المختوم شرح على نظم نزهة الحلوم.
- التحفة الوسيمة على الدرّة اليتيمة.
- منحة الأتراب على ملحّة الإعراب.
- عون القيوم على كشف الغموم.

## 07 - التاريخ :

- قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمآثر.
- الغصن الداني في حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلائي.
- الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات.
- إرشاد الحائر لمعرفة فلان في الجزائر وغيرها من البلدان ( في 462 صفحة ).
- مختصر إرشاد الحائر لمعرفة الفلانيين في الجزائر.

## 08 - السيرة النبوية :

- فتح المجيد في سيرة النبي الحبيب.
- انقشاع الغمامة والالباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس.
- محاضرات متعددة الموضوعات.
- رحلات إلى الحجاز.
- رحلة إلى المغرب الأقصى.
- ديوان شعر شامل لتقاريف ومراثي وردود متعددة وأشعار في موضوع الألباس وفتاوى فقهية.
- وخلف محاضرات متعددة الموضوعات.

وشدّ الرحال لحج البيت الحرام 37 مرة، كما أدى مناسك العمرة مجردة عن الحج 15 مرّة. كان خلال رحلاته يقود وفد الحجيج والمعتمرين، ينظم سيرهم ويرشدهم لأداء مناسكهم، قام برحلات علمية متعددة لعدة دول، ولقاءات بالعلماء والشخصيات. يقول رحمه الله عن نفسه في كتاب "الرحلة العلية إلى منطقة توات" الجزء الثاني : وقد تعرفت بالكثير من العلماء من خلال الرحلات ومن خلال ملتقيات الفكر

الإسلامي ونشاط جمعية الزوايا ومن الرحلات الوطنية إلى وهران وبوحنفية والجزائر العاصمة والجلفة والأغواط وغرداية والمنبوعة وتلمسان ومنطقة القبائل. لقد تعرفت على الكثير من العلماء شيوخا ودكاترة وأساتذة وفقهاء وموظفين في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بما فيهم من وزراء ومديرين. كذلك تعرفت على الكثير من الشخصيات في مختلف الوزارات وكذلك تعرفت على كثير من الأعلام بالحرمين الشريفين في الحج والعمرة. وقد تعددت والحمد لله زياراتي إلى تلك البقاع ولقد سجلت بعض الرحلات الحجازية للحج والعمرة وذكرت في هذه المذكرات فعالية تلك الرحلة ومن لقيته من الأعلام ولقد سجلت من الرحلات عشرين رحلة ما بين رحلات الحج والعمرة لكن رحلات أخرى قبلها لحج فقط نحو العشرين بقيت في الذاكرة بدون تسجيل والرحلات المسجلة ذكرت فيها الأعلام الذين لقيتهم أو تعرفت عليهم من ابتداء الرحلة إلى انتهائها داخل الوطن وخارجه وفي القاهرة والمدينة ومكة. أما بالنسبة للقاهرة فقد تعرفت على بعض الطلبة في جامع الأزهر وفي مدينة البعث الإسلامية وذلك في أول رحلة لنا سنة 1383هـ الموافق لـ 1964م للحج عن طريق تونس وليبيا ومصر. انتهى

### إجازاته وشهادته :

أجيز الشيخ بإجازات عدة مرات من كبار العلماء داخل الوطن وخارجه منها :

- 1 - إجازة علمية من شيخه مولاي أحمد الطاهري بن المعطي عند انتهاء الدراسة.
- 2 - إجازة عامة من السيد حاج أحمد الحسن بأسانيد متعددة.
- 3 - إجازة من السيد علي البودليمي في الحديث وعلومه.
- 4 - إجازة من العالم اللبناني الشيخ زهير الشاويش.
- 5 - وأجيز في مكة المكرمة من الشيخ العالم الشريف الشيخ محمد علوي مالكي.
- 6 - وأجيز في المدينة المنورة من الشيخ محمد العربي السنوسي.
- 7 - إجازة من الشيخ عبد الرحمن الجليلي.
- 8 - إجازة من الشيخ محمد الصالح الصديق.
- 9 - تحصل على شهادة الإمام الأستاذ من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وشهادة الليسانس في العلوم الإسلامية.

كما أنه رحمه الله ، منح الإجازة لعدة من طلبته بأسانيد التي أجيز بها وكنت بحمد الله ممن حظي بهذه الإجازة. ومنح كذلك عدة إجازات لطلبة من السعودية في مكة والمدينة، فقد والله تعجبت لهؤلاء الطلبة الذين



يقبلون على الشيخ مع أنهم في هذه الأماكن الغنية بالعلم والعلماء. ومع ذلك يطلبون إجاز الشيخ ويطلبون منه أن يعقد حلقات علمية حتى في الفندق الذي يقيم فيه فهؤلاء جازاهم الله خيرا عرفوا الشيخ وعرفوا علمه ومكانته .

ولقد خصص له الواقفون على مكتبة باب عثمان بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة، جناحا يقال له معرض الشيخ باي بلعالم فيها كل ما أهداه إلى المكتبة من محابر وألواح وأقلام من الإنتاج الجزائري. وله وقفيات كذلك من مؤلفاته ومن غيرها على مكتبة المسجد النبوي الشريف. وقف فضيلته على مكتبة الحرم النبوي الشريف عددا من الكتب المطبوعة والمخطوطة أهمها :

- 1 - ملتي الأذلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك الجزء الأول.
- 2 - الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية " جزءان " .
- 3 - زاد السالك على أسهل المسالك " جزءان " .
- 4 - فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك " نظم " .
- 5 - كشف الجلبات شرح جوهر الطلاب في علمي الفروض والحساب.
- 6 - كشف الدثار على شرح الآثار.
- 7 - ركائز الوصول على منظومة العمر يطبي في علم الأصول.
- 8 - المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن.
- 9 - كفاية المفهوم على اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن أجروم.
- 10 - منحة الأتراب على منحة الإعراب.
- 11 - السبائك الإبريزية في شرح الجوهر الكنزية.
- 12 - التلخيص المفيد شرح على رسالة الإمام ابن أبي زيد " فقه مالكي.

### محاربه للبدع والخرافات :

لقد واجه شيخنا رحمه الله، مجتمعا كان يعيش في فراغ روعي حيث صيرته البدع والخرافات كليل بهيم، فكان للعوائد والتقاليد السلبية دورها وسط المجتمع الذي ظل يرسف في قيود التخلف برهة من الزمن، فما كان من الشيخ إلا أن أشهر سلاحه الدعوي في وجهها، فحاربها بالحكمة والموعظة الحسنة إلى

أن استأصلها من جذورها، واقبرها مكان ولادتها. وعلى كل حال فإنه قام بدعوة إصلاحية مظفرة، شاملة وجامعة لأساليب التوجيه والإرشاد .

### نشاطات ثقافية وتربوية داخل وخارج المدرسة :

كانت للشيخ رحمه الله نشاطات ثقافية وتربوية داخل وخارج المدرسة :

1 - إحياء ليالي رمضان المعظم كل سنة بوضع برنامج حافل بالنشاطات الدينية يحتوي على ستين محاضرة في كل يوم درس ومحاضرة، يتبع ذلك بتعقيب ومناقشات .

2 - كما يقوم أيضا بإحياء ليلة القدر المباركة بمحاضرة دينية حول القرآن العظيم الذي هو دستور المسلمين ونورهم الذي يستضيئون بتعاليمه السمحة وتوجيهاته النيرة، تتبع المحاضرة بأسئلة ومناقشات وأذكر دعوات يحضرها جم غفير من سكان الناحية يوزع عليهم خلال الحفل الشاي والحلويات ثم يختم الحفل بعد منتصف الليل .

3 - إحياء عيد المولد النبوي الشريف بمحاضرات وأناشيد دينية طيلة شهر المولد.

4 - القيام بتوعية حجاج الدائرة كل سنة عن طريق محاضرات، ونداوت تمكنهم من معرفة مناسك ذلك الركن العظيم من أركان الدين والاستفادة من دروسه وعبره، وتزويدهم بالزاد الروحي العلمي الذي يؤهلهم لأداء فريضتهم بكل وعي وراحة واطمئنان .

5 - قراءة صحيح الإمام البخاري من أوله إلى آخره كل سنة سردا وشرحا بشروحه الثلاثة (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، وإرشاد الساري لقسطلاني، وعمدة القارئ العيني) وتستمر قراءته أربعة أشهر ابتداء من أواخر شعبان وانتهاء بأواخر ذي الحجة الحرام .

6 - إقامة حفل ديني كبير كل سنة بمناسبة ختم صحيح البخاري وموطأ الإمام مالك وصحيح مسلم يحضره جم غفير من المسلمين من ولايات الجنوب توزع خلاله جوائز على حفظة القرآن الكريم من طلاب المدرسة والذين ختموا القرآن لأول مرة.

كما أن السكان يستفيدون من هذه التظاهرة الدينية، لكل من ولد له ولد ذلك الأسبوع يسميه في ذلك الحفل ومن أراد أن يعقد نكاحا يعقده أيضا، فيتخلص من المصاريف الباهضة التي يتكبدها لو عقد نكاحه في بيته.

7 - احتضان الأيام التكوينية لرجال السلك الديني بالدائرة، حيث تكفل لهم المدرسة الدراسة والإيواء والأكل.

8 - كما أن له نشاطات خارج المدرسة وخارج الولاية ، فمثلا في ولاية ورقلة التي كانت رحلته إليها سنة حميدة لم ينقطع عنها قبل وفاته رحمه الله، حتى أن أهل ورقلة يعلمون تاريخ قدومه مسبقا ويستعدون لها ويتنافسون على ضيافته وإكرامه ومن عاداته يلقي درسا أو موعظة بعد تناوله للغداء أو العشاء في بيت الضيافة ولا يجب أن تكون مجالسه خالية من ذكر الله، ولا يخلو محل إقامته من الزوار من مشايخ وطلبة.

### وقفات ختامية في آخر لحظات الشيخ :

كانت حياته مليئة بالنشاطات، والتعليم والتوجيه والارشاد، كانت خاتمتها أن حضرنا معه ملتقى حول: المذهب المالكي ومدرسته الفقهية في ولاية عين الدفلة .

وخلال رجوعنا من رحلتنا هاته، الرحلة التي كنت مرافقه إليها ، وبعد مأدبة الغداء التي أقيمت لنا من طرف أحد أصدقاء الشيخ، طلب مني رحمه الله أن أتلو على الحاضرين شيئا من القرآن فتلوت من قوله تعالى : وعباد الرحمن ... الخ ألقى درسا في تفسير قوله تعالى : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا .. الخ تلك الآيات التي تتضمن أوصاف عباد الرحمن الذين هيئت لهم الجنان، ثم أنه رجع لأولف كانت آخر خطبة خطبها لصلاة الجمعة حول العلم وفضله بمناسبة عيد العلم. ويوم السبت 22 ربيع الثاني 1430 هـ الذي هو آخر يوم من حياته، صلى الصبح في المسجد بالمصلين بالسورة السالفة الذكر وعباد الرحمن الآيات ، وكان آخر ما تلفظ به وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ففاضت روحه إلى ربّها وكان انتقاله إلى الدار الآخرة إلى القبر ، الذي نسأل الله أن يجعله روضة من رياض الجنة ، أن صلى عليه في مؤسسة علمية تسمى متوسطة الإمام مالك بن أنس رحمه الله ورضي عنه، هذه مصادفات في آخر وقفات حياته رحمه الله آمين.

فأنت ترى أن الشيخ رحمه الله عاش مع المذهب المالكي منذ نعومة أظفاره، تعلّما وتعلّما في شبابه وكهولته وشيخوخته، دعوة وتوجيها وإرشادا تأليفا وتعلّما.

خاتمة تتضمن تلميحا لمناسبات تسمية ومحتويات مؤلفاته أقول :

سلام عليه يوم أضاء الكوكب وأشرقه والسلام عليه يوم رصع الجواهر وسبكها ويوم زينها عليه الجواد والسلام عليه بالاستدلال ودلها ويوم نظم في الفرائض الدرّة وكساها بالأصداف والسلام عليه يوم زود السالك بالزاد وأجاب دعوته المجيب وفتح عليه الجواد يوم قشع الغمامة والإلباس والسلام عليه يوم نظم فتح الرحيم للناس والسلام عليه يوم انتقى أدلة فشرح الكتاب والسنة والإجماع والقياس والسلام عليه يوم أقام الحجة بالدليل فشرح نظم ابن بادي لمهمات من مختصر خليل والسلام عليه يوم أرجع الفروع إلى التأصيل والسلام عليه يوم أدنى الغصن ويوم جنى الفواكه والسلام عليه يوم كشف الجوهرة للطلاب بإعانة رب الأرباب والسلام عليه يوم ذلل خوض النيل للركاب والسلام عليه يوم يسر الحصول على السفينة وأرشد الحائر ونور الطريق لحجاج بيت الله الحرام وأضاء المعالم ووضع للوصول الركائز والسلام عليه يوم أتحف الملتمس وزوده بالكفاية والمباحث والسلام عليه يوم نظم اللؤلؤ وكشف الدثار ويوم منح الأتراب وأتحف وأعانه القيوم والله يسقيه من الرحيق المختوم جزاء شرحه الرحيق المختوم والسلام عليه يوم ترجم الجليّة والسلام عليه يوم ضرب بالقنابل والمدافع سلمان والسلام عليه يوم طعن بالرمح المفتي بغير برهان والسلام عليه يوم لأعلام القبيلة ويوم سجل الرحلة قطع بالسيف كل لسان حارب الحق تعالى وقال بغير علم في القرآن أعني به من لم يذر ما بقي من الربا فأذن بحرب الله تعالى أن غره قوم جهال وأئمة ضلال فقام بالحق يصدع ويحذر ما صنعوا ويندد بما فعلوا ويجبر ما كسروا ويوضح ما زيفوا ويبطل ما حرروا والسلام عليه يوم ولد ويوم تربي ويوم تعلم وعلم ويوم له وجزاه على خير ما قدم وجعل أجزى وأجاز ويوم حج واعتمر ويوم أرشد وعلم البشر وسلام عليه يوم لبي نداء مولاه العلي الأكبر فتقبله الله ورحمه وغفر بركته فيمن خلفهم من أولاده وطلبته وأحبابه ومن شيعوه وصلوا عليه وعزوا فيه آمين آمين والحمد لله رب العالمين.